كمال جنبلاط هو الزعيم الذي أعاد لطائفته الدرزية وزنها السياسي في لبنان٠

هذا الوزن الذي تعرض لنكسة اولى مع نظام المتصرفية الذي وضع حدا ، منتصف القرن الماضي . للحكم الدرزي في الجبل وفتح الابواب مشرعة امام المزيد من اخضاع لبنان للمخططات الاستعمارية ٠

كما تعرض الوزن لنكسة ثانية مع اعلان دولة لبنان الكبير (١٩٢٠) التي ورثت نظام التمثيل السياسي السابق بعد ادخال مجموعات كبيرة من السنة والشيعة والارثوذكس في عداد الرعايا اللبنانيين ٠ ففي هذا العام قذفت الطائفة الدرزية الى المرتبة الخامسة او السادسة في سلم التراتب الطائفي وبات واضحا ان قطبي المعادلة اللبنانية هما الموارنة والسنة ٠

اي انه في خلال حوالي السبعين عاما انتقلت الطائفة الدرزية من حكم الجبل الى تشكيل طائفة غير رئيسية في « لبنان الكبير » ٠

ولكننا نشهد ، مع الزعامة الجنبلاطية ، ومنذ منتصف الخمسينات عودة الدروز الى ان يكونوا طائفة لها « حق النقض » (بالاضافة الى الموارنة والسنة طبعا) ٠

صحيح ان الطوائف الرسمية في لبنان ١٧ ولكنها لا تتمتع كلها ، بحكم الوزن والتقليد (الناجمين عن عوامل عديدة لا مجال لذكرها) بالقدرة على التأثير المتساوي على القرار السياسي الرسمي الذي يفترض ان يمثل حدود لقاء القيادات السياسية للطوائف اللبنانية ٠

وبهذا المعنى فان لبنان اشبه ما يكون بمجلس الامن : فيه عدد من الدول لكن بعضها فقط له « حق النقض » ٠

ولعل هذا الحق ــ الذي يتمتع به الموارنة بامتياز في لبنان ــ هو دليل تحول الطائفة المعنية الى طائفة ذات وزن مقرر او شبه مقرر في السياسة اللبنانية ٠

واذا كان الدروز مع كمال جنبلاط قد عادوا ليصبحوا طائفة اساسية فليس لان جنبلاط اضاف الى وزنهم العددي والسياسي الوزن العددي والسياسي للحركة الوطنية (كما انه فعل العكس ايضا ٠٠) فحسب بل لانه استطاع ان يجير العمق العربي لصالحه ، ويصبح ناطقا باسمه في لبنان ٠

هذه الزعامة الجنبلاطية الراسخة ضمن الدروز ، وما اتاحته من اطلالة على الطوائف الاسلامية الاخرى ، وما اضيف اليها بفعل الخصوصية الطائفية الفريدة للجبل ودوره المميز في التاريخ اللبناني وبفعل الامتدادات الحزبية الوطنية الاخرى ٠٠ هذه الزعامة كانت مضطرة ، بفعل نظام الطائفية السياسية على ان تدخل ضمن التركيبة من « خرم الابرة » المفتوح لها ٠٠